

٥- المَجَاعَةُ فِي مَكَّةَ

مِنْ بَيْنِ أَوْلَادِ عَبْدِ مَنْفِ الْأَرْبَعَةِ كَانَ هَاشِمٌ مَشْهُورًا جِدًّا، فَهُوَ جَدُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَسُمِّيَتْ عَائِلَةُ النَّبِيِّ تَيْمَنًا بِهِ، حَيْثُ كَانُوا يُدْعَوْنَ بِبَنِي هَاشِمٍ. وَبِسَبَبِ قُدْرَتِهِ عَلَى تَوَلِّي الْأُمُورِ بِشَكْلِ جَيِّدٍ، تَوَلَّى هَاشِمٌ زَعَامَةَ قُرَيْشٍ. وَكَانَ مِثْلَ وَالِدِهِ يَحْتُ قُرَيْشًا عَلَى الْكَرَمِ مَعَ الْحُجَّاجِ الْقَادِمِينَ لِزِيَارَةِ الْكَعْبَةِ لِأَنَّهُمْ ضُيُوفُ اللَّهِ. كَانَ هَاشِمٌ يُنْقِذُ مَهَامَّهُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، بِوَصْفِهِ رَئِيسًا لِمَكَّةَ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يُسَاعِدُ الْحُجَّاجَ بِشَكْلِ كَبِيرٍ. فَفِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ وَعِنْدَمَا كَانَتْ مَكَّةُ تَتَعَرَّضُ لِلْمَجَاعَةِ، كَانَ هَاشِمٌ كَرِيمًا بِمَا يَكْفِي لِأَنَّهُ يُطْعِمُ الْحَاجِجَ وَيَعْتَنِي بِسُكَّانِ مَكَّةَ جَمِيعِهِمْ، وَهَذَا مَا مَنَحَهُ مَكَانَةً مُشْرِفَةً وَعَالِيَةً.

وَكَانَ لِهَاشِمٍ أَيْضًا دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي تَنْظِيمِ تِجَارَةِ مَكَّةَ، حَيْثُ نَظَّمَ قَافِلَتَيْنِ تِجَارِيَّتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى سُورِيَّةَ، وَالْأُخْرَى إِلَى الْيَمَنِ. وَخَطَّطَ لِهَاتَيْنِ الرَّحْلَتَيْنِ بِشَكْلِ كَامِلٍ، بِحَيْثُ تَكُونُ إِحْدَاهُمَا فِي الصَّيْفِ وَالْأُخْرَى فِي الشِّتَاءِ. ازْدَهَرَتْ أَحْوَالُ أَهَالِي مَكَّةَ كَثِيرًا، وَنَشَطَ اقْتِصَادُ الْمَدِينَةِ بِشَكْلِ كَبِيرٍ فِي ظِلِّ قِيَادَةِ هَاشِمٍ.



٩- وُصُولُ شَيْبَةَ إِلَى مَكَّةَ

عِنْدَمَا دَخَلَتْ نُوقُ الْمَطَّلِبِ وَشَيْبَةَ إِلَى مَكَّةَ، كَانَتْ نَاقَةُ شَيْبَةَ أَمَامَ نَاقَةِ الْمَطَّلِبِ، فَاعْتَقَدَ أَهْلِي مَكَّةَ أَنَّ الشَّابَّ هُوَ عَبْدٌ لِلْمَطَّلِبِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَقُودُ أَمَامَهُ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ الْمَطَّلِبَ وَلَا يَعْرِفُونَ شَيْبَةَ، لِذَلِكَ نَادَوْهُ "يَا عَبْدَ الْمَطَّلِبِ" وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْمَطَّلِبُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ شَرَحَ وَكَرَّرَ لِأَهْلِي مَكَّةَ أَنَّ هَذَا الشَّابَّ لَمْ يَكُنْ عَبْدًا لَهُ، لَكِنَّهُ شَيْبَةُ وَلَدٌ هَاشِمٍ. لَمْ يَلْتَفِتِ النَّاسُ إِلَى شَرَحِ الْمَطَّلِبِ وَاسْتَمَرُّوا فِي دَعْوَةِ الشَّابِّ بِعَبْدِ الْمَطَّلِبِ، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ أَصْبَحَ شَيْبَةُ مَعْرُوفًا فِي مَكَّةَ بِاسْمِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ، وَنَسِيَ النَّاسُ اسْمَهُ الْأَصْلِيَّ تَمَامًا.



مَكَّةَ عِنْدَ الْفَجْرِ. تَوَجَّهَ
 الْجَيْشُ بِيَطْءٍ نَحْوَ مَكَّةَ.
 عِنْدَمَا رَأَى عَبْدُ الْمُطَلِّبِ
 مِنْ بَعِيدٍ سَحَابَةً هَائِلَةً
 مِنَ الْعُبَارِ وَالرَّمَالِ أَدْرَكَ
 أَنَّ جَيْشَ أُبْرَهَةَ يَقْتَرِبُ
 مِنْ مَكَّةَ بِهَدْفٍ مُحَدَّدٍ أَلَا
 وَهُوَ هَدْمُ الْكَعْبَةِ. أَسْرَعَ

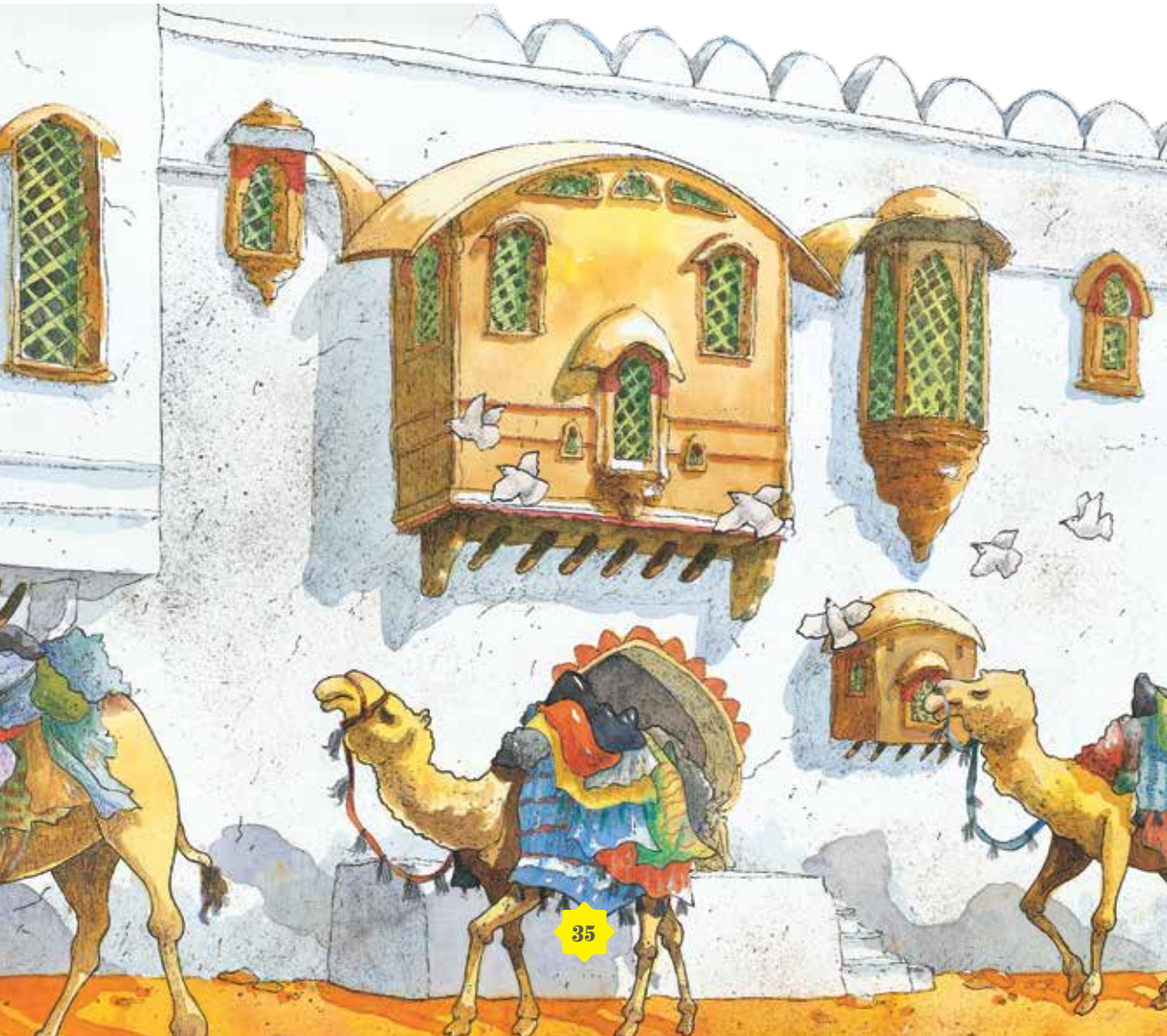


عَبْدُ الْمُطَلِّبِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَأَمْسَكَ بِمِقْبَضِ بَاهِهَا وَدَعَا رَبَّهُ بِتَضَرُّعٍ لِيَحْمِيَ
 الْكَعْبَةَ مِنْ نَوَايَا أُبْرَهَةَ الشَّرِيرَةِ: "يَا اللَّهُ أَنْقِذْنَا مِنَ الْجَيْشِ، أَنْقِذْنَا مِنْ خُطَّتِهِمْ
 الشَّيْطَانِيَّةِ. أَنْقِذْ قِبْلَتَنَا، فَإِنَّ تَهَدَّمَتِ الْكَعْبَةُ هَلَكْنَا أَيْضًا".

١٧ - مُعْجَزَةُ الطُّيُورِ

اقترب جيش أبرهة الهائل من مكة يتقدمه عدد من الفيلة الكبيرة والعنيفة.
 كانت الفيلة تصرخ وخراطيمها نحو الأمام، وكان الجنود ينشدون ويهللون
 لقاءهم وملئهم أبرهة. كان أبرهة واثقاً من قدرته على هدم الكعبة دون

تَوَقَّفَتِ الْقَافِلَةُ فِي مَدِينَةِ بُصْرَى فِي سُورِيَةِ حَيْثُ رَأَى أَحَدَ الْكَهَنَةِ الْمَسِيحِيِّينَ
وَيُدْعَى (بِحِيرَةَ) النَّبِيِّ مُحَمَّدًا ﷺ فَعَرَفَهُ مِنْ خِلَالِ بَعْضِ الْعَلَامَاتِ الَّتِي قَرَأَهَا
فِي الْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ عَنِ النَّبِيِّ الْأَخِيرِ الَّذِي كَانَ عَلَى وَشَكِّ أَنْ يُوَلَّدَ فِي الْجَزِيرَةِ
الْعَرَبِيَّةِ فَدَعَا أَبَا طَالِبٍ وَالنَّبِيَّ ﷺ إِلَى الْعِشَاءِ.



٣٣ - رَحْلَةُ طَوِيلَةٍ وَقَاسِيَةٍ

اِخْتَلَفَتِ الْأُمُورُ فِي الرَّحْلَةِ الثَّانِيَةِ عَنِ الرَّحْلَةِ الْأُولَى فَلَا أُنَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْبَرُ عَمْرًا وَهُوَ الْمَسْئُولُ هُنَا وَكُلُّ شَيْءٍ يَعْتَمَدُ عَلَى تَخْطِيطِهِ. فَلِكَيْ يَنْجَحَ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْْمَلَ بِجِدِّ وَيَعْتَنِي بِالْإِبِلِ وَالْبِضَائِعِ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلْخَطَأِ لِأَنَّ الْبِضَائِعَ لَيْسَتْ مِلْكَهُ بَلْ أَمَانَةٌ مِنْ أَمْرَةٍ وَتَقَتْ بِهِ. أَرْسَلَتْ خَدِيجَةُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَادِمَهَا الْأَمِينَ مَيْسِرَةَ لِمُسَاعَدَتِهِ فِي عَمَلِهِ.

كَانَتْ الرَّحْلَةُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى سُورِيَةِ طَوِيلَةً وَقَاسِيَةً فَكَانَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَحَلَّى بِالْجُلْدِ وَقُوَّةَ الْإِرَادَةِ لِتَحْمُلِهَا. سَافَرُوا فِي الْبَدءِ عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي الرَّمَالِ الْحَارِقَةِ وَعَبَرُوا سَلْسِلَ التَّلَالِ الرَّمْلِيَّةِ وَاحِدَةً بَعْدَ الْأُخْرَى وَمَعَ ذَلِكَ بَدَتْ الصَّحْرَاءُ وَكَأَنَّهَا لَنْ تَنْتَهِيَ. وَأَخِيرًا أَنَّهُوَ طَرِيقَ

الصَّحْرَاءِ وَوَصَلُوا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي كَانَتْ أَفْضَلَ حَالًا حَيْثُ عَبَرُوا الْغَابَاتِ وَالْمَرْوَجِ الظَّلِيلَةَ الْحَضْرَاءَ وَالْيَنَابِيعَ الْبَارِدَةَ حَيْثُ